فلســطين

بين أبنائها والزعماء السياسيين

الأخ ن. أبو جهاد

كنت أتابع مرّة برنامجاً إخبارياً تليفزيونياً عن إحدى الغارات الإسرائيلية في جنوب لبنان ، ورأيت المراسل ينقــل كلمات أحد المشرّدين من فلسطين المحتلة عام 1948م .. والتقطت أذني بعض عباراته يقول بالعربية :

– أيّ حقّ لليهود تسألني عنه ؟! .. إنّها أرضنا .. فلسطين كلّها أرضنا .. اليهود جاؤوا من أنحاء العالم وطردونا منها .. وأريد العودة إلى بيتي .. بيتي في حيفا .. وليذهبوا حيث جاؤوا ..

كان ابن حيفا المشرّد يتكلّم متألّماً غاضبا .. أن يسأله المراسل الغربي عن (حــقّ اليهــود) في أرض اغتــصبوها وشرّدوه منها .. والدمار حوله يشهد على أفعال يهود في أرض شرّدوه إليها .. ثمّ أرسلوا طائراتهم الأمريكيــة وراءه تدمّر وتقتّل كيف تشاء ..

و لم أعجب كثيراً وأنا أسمع المراسل يقول (مترجما) :

– ويطالب هذا اللاجئ كسواه بالعودة إلى الأراضي المحتلة وبانسحاب إسرائيل إلى حدودها !! ..

هكذا .. يقول : (اللاجئ) ولا يقول المشرّد بالقوة .. ويتحدث عن (الأراضي المحتلة) ويقصد عام 67م بالطبع ، فما قبلها لا يعتبر محتلاً .. وعن (الانسحاب إلى الحدود) وكأنّ لإسرائيل حدوداً شرعية ، أو أنّ القضية قضية حدود عند ابن حيفا المشرّد ..

ويوم وقّع السادات مع بيجن وكارتر على (معاهدة السلام) نقل التلفزيون أيضاً صور مسلمات عجائز من حرائر فلسطين .. أمّهات أبناء فلسطين المستعمَرين قد تجمهرن حول المسجد الأقصى .. والتقطت أذني عبارات إحــداهن تندّد بالسادات بلهجتها العامّية الفلسطينية فتقول ما معناه :

– ما شأنه بفلسطين ؟! .. وكيف يبيعنا ويبيعها ؟! .. فلسطين بلادنا نحن ، والقدس مــدينتنا نحــن .. أرضــنا وأرض أولادنا ..

وبنفس أسلوب الإعلام الغربيّ (الحرّ) كان المذيع التليفزيوني يعلّق فيقول ما معناه :

– قامت مظاهرات في الضفة الغربية احتجاجاً على انفراد السادات بخطوته نحو الـــسلام مـــن دون مـــشاركة الفلسطينيين ..

وكانت أجهزة الإعلام تنقل –قبل العملية الفلسطينية الأخيرة في الخليل المحتلة– أنباء مظـــاهرات أبنـــاء وبنـــات المدارس في فلسطين المحتلة .. وتشير إشارات مقتضبة إلى الهتافات المنطلقة من الحناجر الفتية المخلصة :

– الله أكبر .. الله أكبر .. عودوا إلى بلادكم أيها اليهود .. اخرجوا من أرضنا أيها الغاصبون

ووردت بين السطور أنباء مقتل بعض التلاميذ برصاص اليهود ، وقيل إنّها (رصاصات طائشة) .. وأنباء إصـــابة الكثيرين بجراح واعتقال العشرات في مختلف المدن والقرى .. ثمّ كانت العملية الفلسطينية في أرض مدينة الخليـــل .. فخرجت الأنباء من (ما بين السطور) إلى الصفحات الأولى .. تتحدّث عن (وحشية المتطرفين) وإذا ذكرت –وقليلاً ما تذكر– إجراءات القمع الرهيبة فسرعان ما تبرّرها .. وتهوّن من شأنها ..

* * *

هذه أمثلة .. والأمثلة لا تنتهي على حقيقة مطالب أبناء فلسطين المشرّدين والمستعمرين .. وهي تلتقي –رغم كلّ تزييف إعلامي– عند هدف أصيل واحد : تحرير فلسطين المغتصبة كلّها من اليهود الغاصبين جميعا

وهي في نفس الوقت أمثلة على أساليب (الإعلام في العالم الحرّ) لتشويه كفاح أبناء فلسطين المشروع من أجـــل التحرّر والكرامة ومن أجل العودة والسيادة

وإلى عهد قريب .. كان الزعيم السياسيّ في بلادنا العربية الذي يتجرّأ على الحديث عن هدف آخر غـــير هـــذا الهدف الأصيل صراحة أو ضمنا .. يوصَم –بحقّ– بأنّه خائن (للقضية العربية) .. خائن لفلسطين

وفي هذه الأيام .. أصبح دور الزعماء السياسيين أشبه بدور الإعلام الغربيّ الرهيب في تشويه حقيقـــة القـــضية ، وحقيقة أهداف أبناء القضية ، وحقيقة كفاحهم المشروع من أجل تحرير الأرض المغتصبة ..

ولو اقتصر الأمر على (السادات) وأمثاله لسهل على المخلصين كشف الخيانات العلنية ، ولكن الحملـــة الدوليـــة والمحلية لتصفية القضية في صالح الصهيونية العالمية بلغت من الخطورة والشمول ومن التشعّب والامتداد ما أصبح معـــه أبناء القضية المخلصون لا يجدون حولهم إلاّ القليل القليل من أمثالهم المخلصين .. المتمسّكين بهدف التحرير الكامـــل واستعادة الأرض السليبة ، المؤمنين عن عقيدة راسخة ألاّ سبيل إلى التحرير إلاّ سبيل الجهاد والتضحية ، الواثقين من نصر الله على أهل الباطل على اختلاف صوره وألوانه ..

هؤلاء يشهدون مع أبناء فلسطين المشرّدين عن أرضهم والمستعمرين المضطهدين داخل أرضهم .. كيف أصــبح التمسّك بالهدف الأصيل (قمة) يتنصّل منها من يتصدّى للقضية والزعامة السياسية في مجموع المنطقة حولها ..

ماذا ؟! تريدون إلقاء اليهود في البحر ؟ ..

ويسارع المتّهمون إلى نفي (التهمة) عن أنفسهم ، لا .. هذا ما يقوله المتهوّرون .. أما نحن فنريد التعــايش مــع (اليهود) .. المسالمين !

ماذا ؟! تريدون القضاء على (دولة إسرائيل ومحوها من الخارطة السياسية للمنطقة) ؟ ..

ويسارع المتّهمون إلى نفي (التهمة) عن أنفسهم ، لا .. نريد (دولة مسخاً) في الجزء الذي يتنازل عنه الغاصــبون (حرباً أو سلماً) وضمان أمنهم وسلامتهم في الجزء الآخر الذي اغتصبوه قبل ثلاثين عاماً ونــسيناه .. أمّــا الــذين يريدون (القضاء على دولة إسرائيل) فهم أصحاب الأوهام والأحلام .. العاجزون عن التعايش مع الغاصــبين وعــن التعامل مع الخمسة (الكبار) في مجلس الأمن !!

ماذا ؟! تريدون خسارة تعاطف العالم مع قضيتكم وتأييده -بعد عشرات السنين- لسماع كلمتكم ؟!

ويسارع المتهمون إلى نفي (التهمة) عن أنفسهم ، لا .. نحن نريد تعاطف العالم معنا وتأييده لنا ، ولــو كــان يشترط للتعاطف معنا أن نعطف على الغاصب فنقرّ اغتصابه ، ولو كان يشترط لتأييده لنا أن نخضع للشرق أو للغرب .. أو لكليهما معا .. ليأذن لنا الشرق أو الغرب أو كلاهما معا .. بالحياة .. أية حياة ، وإن كان آباؤنا مــن أبنــاء فلسطين رفضوها وبذلوا الدماء دفاعاً عن كرامتهم وكرامتنا من بعدهم .. أيّة حياة ، وإن كان أبناؤنــا وبناتنــا في أرضنا المغتصبة يرفضونها .. ما دامت مقترنة بالذلّ والمهانة ، والخضوع للاغتصاب والاحتلال ..

* * *

هل تسمّون هذا (سياسة) أيّها الزعماء السياسيون ؟

أليس الحدّ الأدنى للسياسة -إن كنتم سياسيين- أن يكون تمسّككم بالحق المشروع بمقدار مــا يتــشبّث العــدوّ الغاصب بالباطل ؟؟ ..

وماذا عليكم أن تعلنوها صريحة واضحة -إن كنتم أصحاب قضية- نعم .. نريد أن نلقي في البحر أولئك الــذين ألقوا بآبائنا وأبنائنا .. بأمّهاتنا وأخواتنا تحت الخيام وراء الحدود .. ومضوا يلقون فوق رؤوسهم النيران بلا حساب ، ويضطهدون من تبقّى منهم في أرضه المحتلة ألوان الاضطهاد ؟ ..

ماذا عليكم أن تعلنوها صريحة واضحة –إن كنتم أصحاب قضية– نعم .. نريد القضاء على (دولة) قامت بقــوة العدوان الغاشم ، واستمرت تدوس على القيم الإنسانية والشرائع الدولية جميعاً ، ولا تزال تتوسّع بقــوة العــدوان ، وتهوّد الأرض بقوة العدوان .. ولا يردعها عن عدوانها إلاّ الدفاع المشروع عن الحقوق .. كلّ الحقوق ، بــالقوّة .. كلّ أنواع القوّة ، ليعود اسم فلسطين إلى الخارطة الدولية كما كان على مرّ السنين ويزول اسم الكيــان الــصهيوني الباطل المصطنع إلى الأبد ؟ ..

ماذا عليكم أن تعلنوها صريحة واضحة –إن كنتم أصحاب قضية– نعم .. نرفض التعاطف الدولي الذي يجبرنــا على التخليّ عن أرضنا ، والتأييد الدوليّ الذي يريدنا أن نقبل بضياع حقنا ؟ ..

ثمّ اعلموا أيّها الزعماء .. أنّكم وأنتم تحسبون أنفسكم سياسيين ، قد أضعتم وتضيعون القاعدة الــتي لا يتحقــق دونها هدف مهما كان صغيراً في عرف السياسة ، فأنتم الذين تحفرون بأيديكم الهوّة العميقة التي تفصل بينكم وبــين أبناء فلسطين المخلصين ومعهم أبناء المسلمين في كلّ مكان .. فلا تعجبوا من انحداركم إلى تنازل بعد تنازل ، وهوان بعد هوان ، ونكبة بعد نكبة

أما فلسطين .. ومستقبل فلسطين فهو كمستقبل سائر القضايا المصيرية لا يصنعه إلاّ المخلصون

والمخلصون لقضية فلسطين هم هم المخلصون لسائر قضايا الإسلام والمسلمين .. قوّتهم في إيمانهم بالله ويقينــهم الراسخ بحقهم المشروع ، وسلاحهم من ثباتهم على أهدافهم الكبيرة الأصيلة ومن إدراكهم العميق لمــا يــراد لهــم ولقضاياهم المصيرية ، وسبيلهم هو سبيل الجهاد والبذل والتضحية .. فمن سار على طريقهم كــان علــى الطريــق الموصلة إلى التحرّر والكرامة ، والعزّة والوحدة ، وكان له النصر الموعود على الباطل وأهله .. ومن تنكّب عن هــذا الطريق ، كان من الخاسرين .. ولو كان الخاسرون هم الفئة الكثيرة .. ﴿ ... **كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَــةً كَــثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [البقرة : 249]

ولا ينتظر الفئةَ القليلة المؤمنة المجاهدة الصابرة .. إلاّ النصر في الدنيا والفوز في الآخرة

ولا ينتظر الفئةَ الكثيرة المتنكّبة عن طريق الحق .. إلاّ الخسران المبين في الدنيا والآخرة